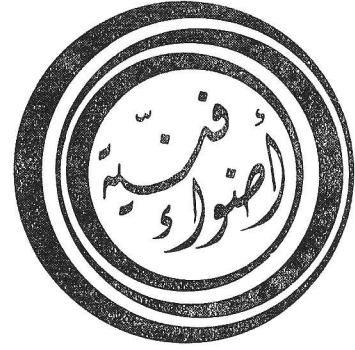


الرواد



في المعرض الفني

نقام : سامي مهدي

أراء

حول إنتاج

اسماعيل الشخاي

كاظم حيدر

قطان المدفعي

نوري الراوي

سوزان الشخاي

الجماعة والتي كانت في الاساس دافع التنامها ودليلها في العمل . فالجماعة الفنية ليست مجرد فنانين وجدوا في التجمع تقنية فاجتمعوا ، بل هي في الحق اتجاه فني وفكري له ملامحه وحدوده . غير ان ما يوءخذ على الجماعات الفنية في العراق أنها لم تدرك هذه الامور ، او لم تعرها كبير اهمية ان هي ادركتها . اذ هي نادرا ما تتجاوز الشرط الكمي (اي التجمع البحت) الى الشرط النوعي (أي التجمع الذي يعبر عن اتجاه له سماته وحدوده) . واقول «نادرا» لان جماعة بغداد للفن الحديث ، بفضل عمق موعسستها الفنان المرحوم جواد سليم ووعيه ، تحمل بذور التجمع الحق ويمكن ان تتطور كاتجاه وحركة فيكون لها اثر اكبر واعمق على الفن في العراق ، على حين ظلت الجماعات الاخرى على الحال التي بينت . وتلافيا لمساوى التعميم نقول : ربما كان لهذه الجماعات منطلق انطلقت منه عند تكوينها الا انها لم تعن بتطوير هذا المنطلق واستمر كل فنان يعمل في حدود اجتهاداته الخاصة دون اعتبار لمنطلق الجماعة ، وكان من نتيجة ذلك ان ضعفت هويات هذه الجماعات ، بل كادت تكون بلا هويات .

ويبدو لي ان السبب في هذا لا يعود الى الجماعات الفنية وحدها ، بل الى قصور النقد الفني ايضا . فالحركة الفنية في العراق - رغم تطورهما - ما زالت تعاني من تأخر النقد وقلة اهتمام الصحف والمجلات بها . فلو ان النقد كان بمستوى الحركة الفنية ونشاطها لأسهم مساهمة فعالة في انضاجها وتطويرها وتلافي نقائصها .

ولكن ما مدى انطباق هذا الكلام على جماعة الرواد ؟

في (١٥) اذار (١٩٦٥) وفي صالة المتحف الوطني للفن الحديث ببغداد اقيم معرض الرواد السنوي الثامن . وقد عرضت في هذا المعرض (٦٤) لوحة لثمانية رسامين هم : اسماعيل الشخاي ، خالد القصاب ، قطان المدفعي ، عيسى حنا ، سوزان الشخاي ، كاظم حيدر ، نوري الراوي واسماعيل ناصر . هذا علا عن اثنتي عشرة صورة فوتوغرافية للفنان فاروق عبدالعزيز .

والرواد من الجماعات الفنية التي قام بتأسيسها الجيل السابق من الفنانين العراقيين الذين درسوا في اوربا قبيل وبعيد الحرب العالمية الثانية بالاشتراك مع بعض الفنانين الاخرين من الهواة والمحترفين . وقد ضمت هذه الجماعة عددا من الفنانين البارزين ، واقامت حتى الان ثمانية معارض تفاوتت حظوظها من النجاح ، كان اخرها هذا المعرض الذي نحن بصدد الحديث عنه . وليس ما يهمنا هنا بحث تاريخ هذه الجماعة ، بل تقييم الاعمال الفنية التي قدمتها في معرضها الثامن ، ورصدها التطور الذي وصلت اليه ووصل اليه فنانوها بالذات . على اننا قبل ان ندخل في مناقشة ذلك ، لا بد لنا من حديث حول الجماعات الفنية في العراق ، حديث لن يكون تاريخيا بآية حال .

المفروض في اية جماعة فنية ان لا تقوم على مجرد الرغبة في التجمع ، فهذا ليس كافيا لاعطائها خصائص الكائن الحي المتميز الذي بإمكانه ان ينمو فضلا عن ان يعيش . اذ ان ما يعطى هذه الخصائص حقا هو مبررات قيام التجمع والاسس التي يستند اليها والطريق التي يسير فيها . انه بصورة أدق وأوضح الخلقية الفنية والفكرية التي تركز اليها

وجود له • ولهذا كان الفن الذي يحتفظ بطابعه القومي انسانيا بمعنى الكلمة ، ولهذا ايضا كانت الهوية القومية امرا لازما لكل فن حقيقي • ليس هذا مجرد كلام نظري لا نصيب له من الواقع ، لان جميع الاعمال الفنية الخائفة تدل على صحته ابتداء من اعمال الواسطي وانجلو ودافنشي حتى بيكاسو •

فان اردنا ان يكون لنا فن يحمل - هويتنا - وهذا ما يجب ان نفعله - فعلينا ان نتمثل تراثنا الفني ونفيد من روحه ، وعلينا ان نقيم علاقة متينة بين فننا وبين حياة شعبنا وقضاياها • ولست اريد بهذا ان يكون الخط والتكوين والموضوع اسرى متطلبات تحقيق هذه الهوية ، اذ لابد للفنان من حرية في الابداع ولا بد له من ان يفيد من الفن العالمي • غير ان دعوى الحرية لا تبرر اهمال حياتنا الزاخرة وقضايانا الكثيرة ، كما ان دعوى الافادة من الفن العالمي لا تعني عبادته والسقوط في تقليده •

وبالطبع ، لست اريد ان اخلص من هذا الى ان الاعمال التي عرضت في معرض الرواد لم تكن تحمل اي طابع قومي ، بل اردت ان اقرر حقيقة اناقش على ضوءها تلك الاعمال • وفي الواقع ان تلك الاعمال كانت تعكس هذا الطابع ، الا انها - كما يبدو لي - كانت تعكسه من خلال مفهوم مشوش لماهية الطابع القومي للفن • ان الطابع القومي للفن ليس هو مجرد الاهتمام بالازياء والعادات والتقاليد



اسماعيل الشيخلي

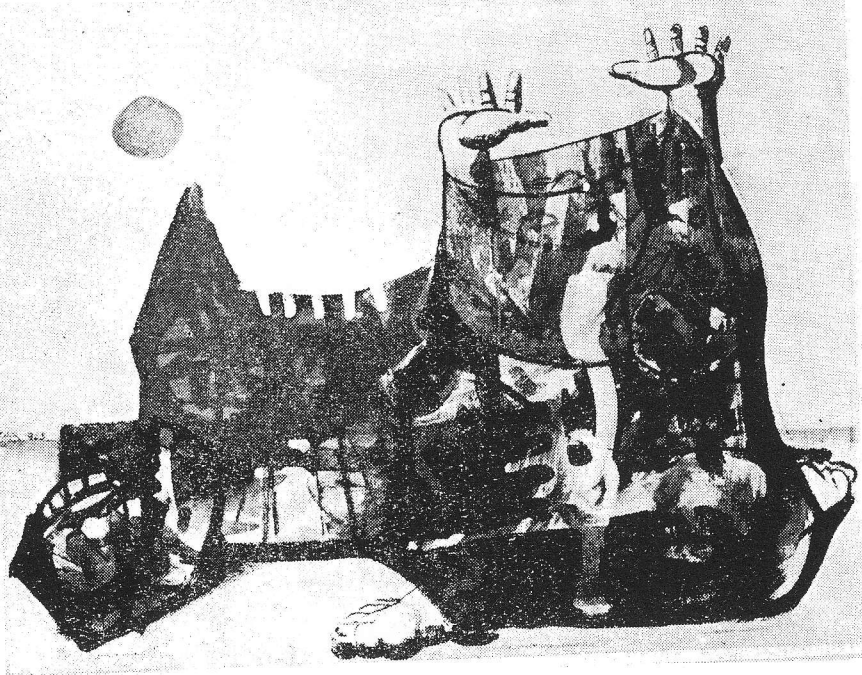
احب ان اشير - قبل ان الحج هذا الموضوع - الى ان اهتمامي بالهوية القومية لفننا ليس وليد حماس قومي - قد يعترض البعض على تدخله في الفن - حسب ، بل هو أيضا وليد البحث عن المحتوى الانساني السليم في الفن •

لا خلاف في ان الفن انساني بطبيعته، الا ان الفن الحق هو الذي يكتسب انسانيته من خلال قوميته • ان الانسانية الحققة ليست في تجريد الانسان من هويته القومية ، لان الانسان المجرد لا

لقد اسس هذه الجماعة في البدء الفنانان فائق حسن وجواد سليم ، فقادها الاول « وازاد لها ان تنهج اسلوبا اقرب الى البدائية العصرية » كما يقول نوري الراوي • ولكن جواد سليم ما لبث ان تركها واسس سنة ١٩٥٠ جماعة جديدة هي « جماعة بغداد للفن الحديث » فقدت بذلك جماعة الرواد عنصرا نشيطا ومبدعا من عناصرها • ولم يلبث فائق حسن ان اعرض هو الآخر عن هذه الجماعة مما زاد في ضعفها وتفككها •

ان جماعة الرواد في وضعها الحالي تحمل بذرة تجمع ، الا ان هذه البذرة ما زالت ضعيفة وبطيئة النمو • فالاهتمام بالتقاليد والازياء الشعبية والمناظر الطبيعية المحلية وما الى ذلك لا يكفي لتحديد هوية جماعة من الجماعات الفنية، بل لابد ان يقترن ذلك بقيمة فنية اخرى تشمل وابعد مدى ، لابد من منطلق نظري اعمق تتحدد به ملامح هذه الجماعة بشكل اوضح لتتميز شخصيتها عن شخصية الجماعات الاخرى • وان كان ثمة منطلق كهذا لم يتبدور بعد ، فلا بد من العمل الجدي على بلورته ، لاسيما وان المعرض المقبل هو المعرض التاسع ! ان ثمانية معارض اقامتها هذه الجماعة كان يمكن ان تكون كافية لتطور اكبر ، بل كافية لان تجعل من هذه الجماعة مدرسة فنية نولا ان تطورها كان بطيئا ، ونولا ان فنانها قد اهتموا بشخصياتهم الفنية وأهملوا شخصيتها كجماعة •

وثمة قضية اخرى جديرة بالبحث ، هي قضية الهوية القومية للفن • ولكنني



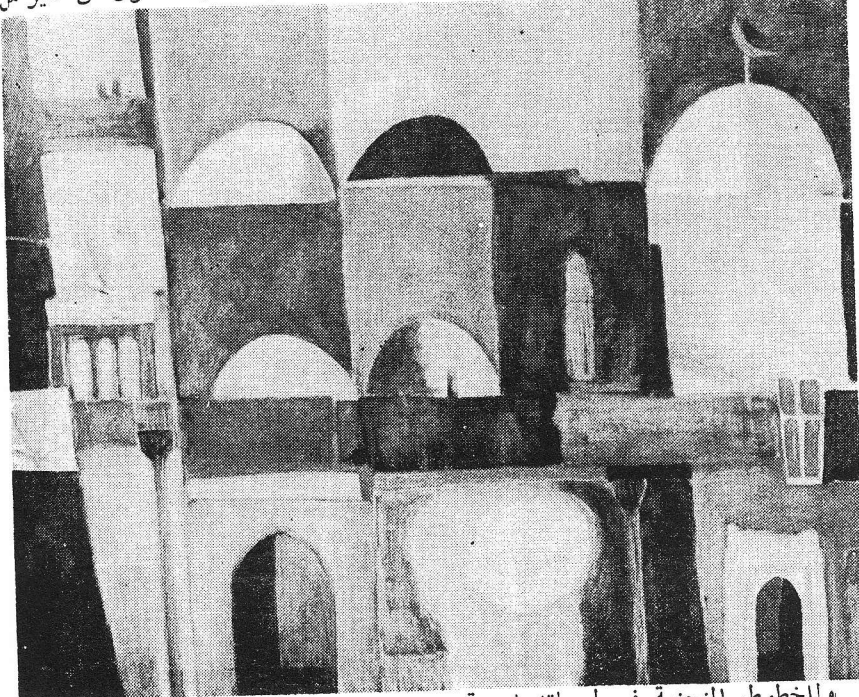
كاظم حيدر

ينفذ موضوعا الا بعد دراسة مستفيضة وواعية ، ولذلك رغم غزارة انتاجه ، فانه نادرا ما يقدم عملا فنيا غير مستكمل لشروطه . وهما يعجبني في هذا الفنان اهتمامه بالمضمون اهتماما لا يدفعه الى التفريط بالشكل . ولكن هذا لا يمنعنا من القول بانه ما زال يعاني من قلق على صعيد الاسلوب .

ينتجها كاظم حيد الى التعبير عن مأساة الانسان بغض النظر عن الحدود المكانية والزمانية . فالانسان عنده هو الانسان سواء اُمت شهيدا ، أم طحنته قسوة العصر الحديث . وتعبيره عن هذه المأساة ليس بالتعبير المسطح الذي يكفي بملامسة المظاهر الخارجية ، بل هو تعبیر خصب معمق وذو بعد فكري في كثير من

ان ابطال الشيخلي هم في الغالب قرويون ، وهو في هذا المعرض يحاول ان يعبر عن عواطفهم الساذجة الرائعة . ورغم ان فائق حسن معنى هو الاخر بالقرويين الا ان الاثنين يختلفان في الاداء والموقف . ان الشيخلي اهدأ في خطوطه واشف في الوانه واغزر في عاطفته ، ولهذا لا تخلو لوحاته من مسحة شاعرية عذبة . واحسن مثل لذلك لوحته «الهلال» .

اما الوانه فهي محدودة . وله طريقة لونية متميزة استخدمها في كل لوحاته التي عرضها في المعرض . وتمتاز هذه الطريقة بالميل الى الالوان الشائعة في الطبيعة العراقية (الاخضر ، البني ، الازرق ، الاصفر) ويميل الى تعتييم هذه الالوان رغم عنايته بالضوء .



نوري الراوي

وللخطوط المنحنية في لوحاته اهمية خاصة ودور تعبيري كبير . اما مواضيعه فبسيطة لا تحمل شيئا من التعقيد الذي اصبح مرضا من امراض العصر . بل انها تنم في بعض الاحيان عن عواطف رومانتيكية محبة . ورغم ان تجاربه الجديدة اكثر تركيزا واغنى تعبيريا الا انه يبدو بطيء التطور . هذا ومن الافضل له ان يحاول تنويع مواضيعه لكي لا يقع في التكرار .

كاظم حيدر :

كاظم حيدر فنان متنوع التجارب ، غنى بالافكار فهو بين حين واخر يعطينا شيئا جديدا فيه من الجودة والاصالة ما يبعث على الاعجاب والتفاهل . وهو لا

الشعبية كما في لوحات سوزان الشيخلي ، كما انه ليس مجرد رسم المناظر الطبيعية المحلية كما في لوحات القصاب واسماعيل ناصر . ان الطابع القومي يبرز من خلال علاقة الشكل بتراثنا الفني وعلاقة المضمون بحياتنا وبيئتنا . كما في لوحة «ساحة الشورجة» للورنا سليم مثلا ، هذه اللوحة التي عرضت في معرض جماعة بغداد للفن الحديث الاخير . ان اسماعيل الشيخلي قد وقف في هذا المجال بعض الشيء ، لان مضامينه ، رغم بعدها عن الواقع الحقيقي لريفنا ، كانت على صلة - مهما ضعفت - بهذا الريف . كما ان لوحته «نذور» و «في القرية» لنوري الراوي كانت على صلة - من حيث الخط والتكوين - بتراثنا الفني القديم .

على انني يجب ان اذكر بانني لا اعني بذكر التراث اهمال المذاهب الفنية الحديثة ، بل كل ما اعنيه هو عدم اهمال هذا التراث الغني ، ولا بأس بالمزاوجة بين فننا وفن المدارس الاوربية الحديثة .

ومما يوءخذ على فناني هذه الجماعة عموما اهمالهم الكلي لقضايانا الوطنية والقومية في اعمالهم المعروضة . ولست ادري بم افسر هذا الاهمال ، أهو وليد نظرة خاصة للفن ترى في السياسة افسادا له ، ام هو نتيجة لغياب الفنانين عن ميادين معاركنا وبعدهم عن واقعنا؟! وهنا لابد لنا من التعرض للوحة خالد القصاب «الافق الجديد» التي عالجت قضية التطور في حياتنا ، وان كانت المعالجة ساذجة بسبب حصر التطور في : قديم يزول وجديد يشمخ .

وبعد ، فقد اردت في ما سبق تبين نقطتين مهمتين وجدت من اللازم طرحها قبل التعرض لاعمال فناني هذا المعرض . وفي رأبي ان اهمال الفنانين لهما لن يساعد ابدا في خلق فن عراقي متطور ومتميز .

ولنأت الان الى ابرز فناني هذا المعرض .

اسماعيل الشيخلي :

الفنان اسماعيل الشيخلي اكثر فناني المعرض تمكنا وبرعهم اداء ، الا انه - كما يبدو لي - محدود التجارب . ويمكن ان يكون هذا نتيجة لانصرافه الى دراسة موضوع من المواضيع ليقدمه من زوايا متعددة . ومن الجدير بنا ان نسجل له هنا اهتمامه بدراسة السحنة العراقية .

بل ان لوحاته عموما ولوحات فائق حسن في هذا المجال لتشكلا دراسة لا بأس بها لهذه السحنة .

من الاحيان . وكمثال على ذلك نذكر لوحته «بقايا انسان رقم ١» و «بقايا انسان رقم ٢» . ولولا بعض المآخذ الشكائية التي توءخذ على هاتين اللوحتين لكانت كل منهما كلا منسجما مع بعضه في خدمة الموضوع .

ان طاقات كاظم كثيرة ، وهي وسيلته في بلورة شخصيته الفنية . والواقع ان ما ينقص هذه الشخصية هو التميز الاسلوبى الذي يحاول ان يحققه من خلال ممارسته لعديد من التجارب .

وبعد فلا بد من الاشارة الى ان ما عرضه كاظم حيدر في معرض الرواد كان اقل في مستواه الابداعي مما عرضه في معرضه

الشخصي الذي اقامه خلال الموسم نفسه
في صالة الواسطي .

قحطان المدفعي :

في موضوعات المدفعي عمق وطرافة .
وكمثال لذلك نقد لوحته «حركة خضراء»
فهى على بساطتها وسهولة التنفيذ فيها
غنية الفكرة . والواقع ان ما يحفظ لافكار
المدفعي عمقها وغناها براعته الظاهرة فى
التنفيذ . وهذه البراعة تظهر بشكلاها
الجلى فى لوحته «شجرتان» التى استخدم
فيها الكولاج ووفق فيه خير توفيق .
اما تاليفه اللونية فانها مرهفة وايقة
وتفصح عن احساس ذوقى عال . هذا
فضلا عن انها الوان معبرة ، ان قحطان
المدفعي فنان اصيل ، وهو نسيج فنى
لوحده . وفى تقديرى انه ان يكرس
نفسه لعمله الفنى فسيقدم اعمالا على
جانب كبير من الروعة والنجاح .

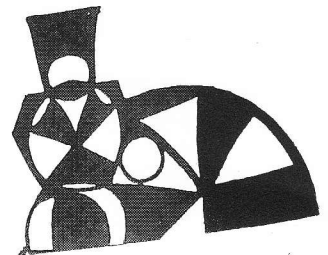
تورى الراوى :

اما الراوى فانه فانه فنان يعى عمله ،
وهذه ميزة طيبة يجب ان يمتاز بها كل
فنان ، الا ان امكانيات الخلق عنده
محدودة . الوانه قاتمة لا اشراق فيها .
وارى ان ذلك يعود الى تكوينه النفسى ،
وليس الى اهتمامه بطريقة لونية معينة
فقط . ولوحته «ندور» و«فى القرية»
محاولة للافادة من تراثنا الفنى القديم ،
ففيهما يبدو اثر هذا التراث واضحا فى
الخط والتكوين . وهاتان اللوحتان
احسن ما عرض له فى هذا المعرض .

سوزان الشخلى :

تعتمد سوزان الشخلى فى اكثر
اشكالتها على العادات والتقاليد الشعبية .
الا ان ما يثيرها فى هذه العادات والتقاليد
طرافتها وليست خلفيتها الاجتماعية ولا
علاقتها بافراح الشعب وآلامه . ولهذا
كانت اعمالها نوعا من التسجيل ، ليس
غير .

ان لمسات سوزان اللونية بسيطة لا
تعقيد فيها ، اما الوانها بالذات فانها من
معطيات البيئة العراقية ، وهى لهذا السبب
الوان مشرقة .



للجاحظ رسالة معروفة ، بين دارسى الادب العربى ، باسم (التربع والتدوير) سخر فيها من
رجل مكى يدعى احمد بن عبد الوهاب على اثر مشادة قامت بينهما بعد ان بدأها ابن عبد الوهاب بما ازعج
كاتبتنا الكبير .

وفي هذه الرسالة نادى الجاحظ صاحبه قائلا : يا صفى المشقر ! ليفرض عليه ان يعاصر حصنا قديما
من حصون البحرين ، ويعيش ايامه لسود هناك حيث كان الغدر يترصد اشرف العرب ، والصوامر تتخطف
ارواحهم ، واهواء ال ساسان تعيث سادا في معازل العروبة .

انه ناداه : يا صفى المشقر ! والصفى ، لفة ، هو الجيب المصافي ، او الخالص من كل شىء ، او ما
اختره الرئيس لنفسه من الفنيمة . والشقر مشار خلاف بين المصادر العربية ، وهذا هو الذى اغرى
الجاحظ بان يخلع على صاحبه صفة العمر ، الحي ، الباقي . . ليشرف على دنياه من نافذة شىء يقال له
(المشقر) .

واختلف البلدانون العرب في تحديد الموقع العمارى او الجغرافى للمشقر ، فذهب بعضهم الى انه فيما
بين نجران والبحرين دون ان يصفوا معاملة . . . وحين قال امرؤ القيس يذكر الشام :

والمكرعات من نخيل ابن يامن

دوين الصفا الاثنى يلين المشقرا
وقف ياقوت الحموى مشلوها امام هذا المنطق الجغرافى المتهافت ، ولم يملك الا ان يقول : لعله شبه
بالمشقر موضعا بالشام ، او اراد انه رجل من المشقر الى الشام .

وذهب آخرون الى انه حصن ، او قصر كالحصن ، او هو حصن هجر من ارض البحرين ، او حصن قديم

حصن المشقر

في البحرين

الجاحظ

بين

ابن عبد الوهاب

من ارض البحرين له ذكر كثير فى اخبار العرب والفتوح ، وكان لعبد
القيس ، وحياله حصن لهم اخبر يقال له الصفا قبل مدينة هجر ،
وبينهما نهر يقال له - محلم - وهو يجرى الى جانب مدينة محمد
بن القفر .

وقد خالف هؤلاء من قال : انه حصن بين نجران والبحرين على تل عال ، ويقابله حصن بنى سدوس ،
واعترى ابن الفقيه الهمذانى هذا الحصن من عجائب الدنيا اسوة بمنازة الاسكندرية وعمود عين شمس
وجسر اذنة وقنطرة سنجة وكنيسة الرها والابلق وغمدان . وقيل ان المشقر جبل لهذيل تهامة ، وهو الذى
قال فيه ابو ذؤيب :

حتى كانى للحوادث مروة بصفا المشقر كل يوم تقرع

وقال الحازمي : ان المشقر ، ايضا ، واد باجا ، بينما ذهب اليماني الى انه قصر بناحية
البحرين .

واضاف الاخباريون الى المشقر كتنا حفل بالنقوش والكتابات ، وسوف تقوم اول يوم من جمادى
الآخرة الى اخر الشهر ، فتوافى بها الناس يقطعون اليها البحر ببياعاتهم ، ثم تنقش عنها الى مثلها من قابل .

وللمشقر ، فى الادب العربى ، اخبار غير حميدة ، ذكرها ادباءنا القدامى مفاكهة ، ومنها قول طرفة
بن العبد :

خذوا حذرکم اهل المشقر والصفاء عبيد اسيد والقرض يعجزى على القرص